

الوافي في الوفيات

أَيُّ هَذَا الشَّرِيفِ حَاشَاكَ حَاشَا ... كَيْ يَرَى فِي فَنَائِكَ ابْنَ هَلَالٍ .
هُوَ نَحْسُ النُّحُوسِ فِي السَّادَةِ الْغُ ... رَبِّ وَسَعْدُ السُّعُودِ فِي الْأَنْدَالِ .
أَنْظُرِ اللَّامَ مِنْ هَلَالٍ فَخِذْهَا ... فِيهِ مَشْكُولَةٌ بَلَا إِشْكَالٍ .
وَقَالَ غَيْرُهُ :

مَنْ ذَا رَأَيْتُمْ مِنَ الذُّسَّاسِ خَاحَ مَدَّ خَدَّاهُ ... سَبَّالَ لَصٍّ عَلَى غُثَّثُنُونٍ مُحْتَالٍ .
هَذَا وَأَنْتَ ابْنُ بُوَّابٍ وَذُو عَدَمٍ ... فَكَيْفَ لَوْ كُنْتَ رَبَّ الدَّارِ وَالْمَالِ .
وَمِنْ شَعْرِ ابْنِ الْبُوَّابِ :

وَلَوْ أَنْزَلْتُ أَهْدَيْتُ مَا هُوَ فَرَضُ ... لِلرَّئِيسِ الْأَجَلِ مِنْ أَمْثَالِي .
لنَظَّمْتُ النُّجُومَ عَقْدًا إِذَا رَصَّ ... عَ غَيْرِي جَوَاهِرًا بَلَاكِي .
ثُمَّ أَهْدَيْتُهَا إِلَيْهِ وَأَقْرَرْتُ ... بِعَجْزِي فِي الْقَوْلِ وَالْأَفْعَالِ .
غَيْرَ أَنِّي رَأَيْتُ قَدْرَكَ يعلو ... عَنْ نَظِيرٍ وَمُشَبِّهِ وَمِثَالِ .
فَتَفَاءَلْتُ فِي الْهَدْيَةِ بِالْأَقْ ... لَامِ عِلْمًا مَذِي بِصَدَقِ الْفَالِ .
فَاعْتَقِدْهَا مِفَاتِحَ الشَّرْقِ وَالْغَرْ ... بَ سَرِيعًا وَالسَّهْلَ وَالْأَجْبَالِ .
فَهِيَ تَسْتَنُّ إِنْ جَرَّيْنِ عَلَى الْقَرْ ... طَاسَ بَيْنَ الْأَرْزَاقِ وَالْآجَالِ .
فَاخْتَبَرَهَا مُوقِّعًا بِرُسُومِ الْ ... بِرِّ وَالْمَكْرُمَاتِ وَالْإِفْضَالِ .

حكى محمد بن هلال بن الصابئ في كتاب الهفوات أنَّ أبا نصر بن مسعود الكاتب لقي يوما
ابن البوَّاب الكاتب فسلم عليه وقبَّلَ يده فقال له ابن البوَّاب : يا سيِّدي
ما أنا وهذا ؟ ! .

فقال : لو قبَّلْتَ الأرضَ بين يديك لكان قليلاً . قال : ولمَ ذاك يا سيدي ؟ وما الذي
أوجبهُ واقتضاه ؟ قال : لأنَّكَ تفرِّدُتُ بأشياءَ ما في بغدادَ كلَّها من يشاركك فيها منها :
الخطُّ الحسنُ وأنَّه لم أرَ عمري كاتباً من طرفِ عمامته إلى طرفِ لحيته ذراعان ونصفَ غيرك .
فضحك ابن البوَّاب وجزاه خيراً وقال : أسألك أن تكتم عنِّي هذه الفضيلة . وكانت لحية
ابن البوَّاب طويلة جدًّا .

ولمَّا ورد الوزير فخر الملك أبو غالب محمد بن خلف والياً على العراق من قبل بهاء بن
عضد الدولة جعل ابن البوَّاب نديماً له واختصَّ به . وكان ابن البوَّاب يتصرَّف في
خزانة الكتب التي لعضد الدولة بشيراز وأمرها مردود إليه . وله مع عضد الدولة واقعة جرت
في أمر أجزاء أربعةٍ بخطِّ ابن مُقْلَةٍ فإنَّه كَمَّلَ منها جزءاً مخروماً فكَمَّلَ له ابن

البوّاب وذهّب به وعتّقه وأحضره إليه في جملة الأجزاء . فلم يعرفه .

قلت : وللكتبّاب لحنٌ في الوضع يعدّونه كما يعدّ أهل العربية لحنهم من ذاك أن الكاف لا تكتب مجلّسة إذا وقعت طرفاً في مثل : إليك ولديك وعليك ولك وما أشبه ذلك . ثمّ إذا كتبت طرفاً لا يعمل لها ردّة إنّما الردّة عليها إذا كانت مكتوبة أو لا وفي بعض الكلمة حشواً وأشياء ذكرتها في قولي تذنيبٌ في مقدمة هذا الكتاب فأغنت عن الإعادة هنا .

جَوَنَقا الكاتب .

علي بن الهيثم الأنباري و الحسن الكاتب المعروف بجونقا - بجيم وواو بعدها نون وقاف وألف - كان في ديوان المأمون ومن بعده من الخلفاء وكان فاضلاً كثير التعجير في كلامه يستعمل العويس من اللغة في محاوراته حتّى إنّ المأمون قال : أنا أتكلم مع الناس أجمعين على سجيّتي إلاّ عليّ بن الهيثم فإنّي أتحدّث إذا كلّمته لأنّه يغرق في الإغراب .

ودخل يوماً جونقا إلى سوق الدواب فلقيه نخّاسٌ فقال : هل من حاجة ؟ قال : نعم الحاجة أناختنا بعقوّتك أردت فرساً قد انتهى صدره وتقلّقت عروقه يشير بأذنيه ويتعاهدني بطرف عينيه ويتشرّف برأسه ويعقد عنقه ويخطر بذنبه ويناقل برجليه ؛ حسن القميص جيّد الفصوص وثيق القصب تامّ العصب كأنّه موج لُجّة أو سيلٌ حَـدور . فأجابه النخّاس بجواب نزّهت هذا الكتاب عنه